قصة الأبرص والأقرع والأعمى

الحمد لله الملك الوهاب، الذي شرع لنا أكمل الشرائع وأحسن الآداب، في العبادات والمعاملات واللباس والطعام والشراب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك التواب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير الخلق ولب الألباب، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم إلى يوم الحشر والمآب.

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، فالمؤمن هو الذي يعرف ربه، ويعترف له بنعمه، ويؤدي شكرها في جميع الأحوال، في حال الشدة والرخاء، والضراء والسراء، وهذا هو مقتضى العبودية لله رب العالمين، ولذلك نعى الله في كتابه على طائفة من الناس لا يعرفون الله إلا عند نزول البلاء والشدة، فإذا كشفها عنهم عادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والعناد والاستكبار، كأن لم يصابوا بشيء قبل ذلك، قال سبحانه: ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾.

والناس عند الشدائد والمصائب صنفان: فمن الناس من إذا ابتلي بالفقر أو المرض أو أي نوع من أنواع البلاء، تمنى أن يزول عنه ما به،

فإذا أعطاه الله ما تمناه، وبدل مرضه عافية، وفقره غنى، نسي البلاء الذي كان به، ولم يعترف لله بنعمه، فضلا عن أن يؤدي شكرها، ومنهم من إذا زال عنه ضرُّه، وكُشِف كربُه، اعترف لله بالفضل والإنعام، وعمل جاهدا على شكر هذه النعمة وأداء حقها، وقد حدثنا الرسول ﷺ عن هذين الصنفين من الناس، فالكافرين بالنعمة والشاكرين لها، في القصة التي أخرجها البخاري مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ قال: (إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قَذِرَني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه قَذَرُه، وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، قال: فأعطي ناقة عُشَراء، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قد قَذِرَني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملا، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك، قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك، قال: الغنم،

فأعطي شاة والدا، فأنتج هذان وولد هذا، قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرا أَتَبَلَّغُ عليه في سفري، فقال: الحقوق كثيرة: فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يَقْذَرُك الناس؟! فقيرا فأعطاك الله؟! فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد على هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك، شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أَجْهَدُكَ اليوم شيئا أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رُضِيَ عنك، وسُخِطَ على صاحبيك). متفق عليه.

فهؤلاء الثلاثة يمثلون أصناف الناس، الشاكرون لأنعم الله، والكافرون بها، وهو يدل على أن الله لا يزال يبتلي العباد بالسراء والضراء كما

ابتلى هؤلاء الثلاثة، ليتبين الشاكر من الكافر، وأن النعم إنما تدوم بالشكر، وهو الاعتراف بها للمنعم، والتحدث بها بين الناس، وتصريفها في مرضاته، فبهذه الأمور تحفظ النعم من الزوال والضياع.

*** *** ***

الخطبة الثانية

الحمد لله، الغني الحميد، ذو العرش المجيد، الذي لا تنفد خزائنه، فخزائنه مملوءة لا تنفد أبدًا، سبحانه الغني ونحن الفقراء إليه.

ثم أما بعد: عباد الله: ونستفيد من هذا الحديث فوائد جمة وجليلة:

منها: أن المريض لا يهمه في هذه الدنيا إلا الصحة والعافية، ولا يهمه ما يحدث في هذا الكون، وهمه أن يشفى، ولذلك تراعى حالته، ويقدر ظرفه، ويدعى له بالشفاء والصحة والعافية.

ومنها: أن هذه النعم من نعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى في أجسامنا نحن نملكها، ونملك شعراً حسناً ولوناً حسناً ونملك البصر والسمع والعقل وغيرها، ولكن كم قيمتها في نفوسنا لا شيء، هل نحن نفكر فيها ونحمد الله عليها أم ننساها ولا يتذكرها منا إلا من فقدها.

فيا عبد الله: قف معي حول هذا الجسم الذي خلقه الله لك وتدبر نعمه، وتخيل أنك فقدت أحد هذه الأعضاء، وترى مدى المعاناة التي تعانيها، ثم نحمد الله جميعا على فضله ونشكره على كرمه.

ومنها: أن الابتلاء من الله تعالى أمره خطير فقد تنجح فتكون في أعلى عليين، وقد ترسب فيكون وباله إلى أسفل سافلين، فالحذر أن يبتليك الله فتقع ثم تكون من الهالكين.

ومنها: أن الصحة والمال والجاه قد تطغي العبد وتجعله يجحد ويتكبر ويتسلط، فالجواب كسر النفس وطاعة الرب تعالى، والمال والشهرة والجاه تفسد القلوب وتعميها، فالحذر من الانجراف وراءها، والحذر من الجشع وحب الدنيا، فإنه يبعد الإنسان عن الله، ويغتر بماله وجاهه وينسى فضل الله.

ومنها: الحذر من البحث عن الغناء السريع الذي سيجر صاحبه لأكل الحرام أو الغرور بالمال أو الاندفاع وراء المادة على حساب الدين، وكل الأغنياء يتمنى أن غناه كابراً عن كابر لأن أخلاقيات الناس تختلف بحسب بيئتهم، فمن كان في صغره فقيرا ثم استغنى فأصبح من أصحاب الملايين تجد أخلاقه أدنى ممن كان يعيش حياة الغنى، وكلاهما رزقه الله وأعطاه من فضله، وكلهم فقير إلى الله مهما بلغ ماله.

طباع الأعمى كانت أفضل من طباع الأقرع والأبرص، وانظر: إلى الأبرص فلم يطلبها من الله ماذا يقول: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قَذِرَنِي الناس، وقال الأقرع ولم يطلبها من الله شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قد قَذِرَنِي الناس أما الأعمى

فيطلبها من الله فيقول أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس.

ومنها: فضل الصدقة والرفق بالضعفاء المساكين، وابن السبيل حتى لك أن تنظر ما استفاده الأعمى من خير، فإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وما حصل للأبرص والأقرع عندما منعوا ابن السبيل، وكيف ضاع مستقبلهم ورجعوا لتشوهات أجسامهم، وإلى فقرهم بسبب تقصيرهم في الصدقة، فالله امتحنهم بالملك الذي أرسل إليهم، فاللذان أنكرا النعمة، ولم يعرفاها، سخط الله عليهما فردهما إلى حالهما السابق، والذي عرف النعمة، وأدى حقها، أدام الله عليه نعمته، وتقبل منه.

ومنها: ذم البخل فقد حمل صاحبيه على الكذب والجحود والتنكر لفضل الله ورحمته وصفات أخرى ذميمة.

ومنها: أن الإنسان مدني بطبعه يحب أن يراه الناس على أحسن حال، ولا يريد أن يراه الناس على صورة سيئة، فاجعل همك بالله وليس بالناس وانظر للثلاثة اثنان همهما الناس فهلكوا والثالث همه الله فنجا.

ومنها: أن الأبرص والأقرع لم يصلا إلى البخل والجحود والكبر والتنكر لفضل الله فجأة وضربة لازب، وإنما تم ذلك خلال زمن طويل من تقمص أخلاقيات طيبة أو غيرها، فهذا الأبرص لم يرفض مساعدة المسكين ويكذب بأنه ورثها كابراً عن كابر، هكذا بلا تاريخ طويل من

الجحود والإنكار والبخل والكذب، فكان كذلك عند الامتحان فرسب وهان فاستحق ما حصل له ومثله الأقرع.

أما الأعمى فإن سلوكياته وهو فقير، ثم لما عافاه الله وأبصر ثم أغناه الله بالمال الكثير، ولكن سلوكياته واحدة في الخير ما تغيرت فكان صادقا معترفا مراقبا لله تعالى لا ينكر فضل الله عليه متصدقا بما آتاه الله تعالى، فكان كذلك عندما جاءه الملك فعلينا أن نعيش الأخلاق الفاضلة، فهي التي تنفعنا عند الامتحان كما نفعت الأعمى.

ومنها: أن عدد الصادقين المختبين أقل من عدد الكاذبين الجاحدين لفضل الله، وعلى كل حال الصادقون أقل ولكنهم أبرك وأفضل.

ومنها: علينا أن نهرب من سخط الله وغضبه وخاصة ممن أظهروا سلوكيات فاسدة في التعامل مع المال، فظهر إسراف باسم الكرم وظهر نوع من الاستعراض بالإنفاق في غير محله، كلوحة سيارة بنصف مليون، وكرتون تمر وآخر من البطاطس بالآف الريالات، وإسراف فيما يسمونه كرما وهم أبعد عن الكرم، ولو طلب منهم التصدق على فقير فقد يأنف، وسيقول ورثتها كابرا عن كابر وهو بالأمس يشحث على الأبواب، واليوم يعبث بالمال، وزاد منهم حب الظهور في المقاطع ومواقع التواصل، وكأنهم يعيشون في كوكب آخر، وهذه الحروب عافانا الله جميعا تنهش أهل البلاد الأخرى والاقتصاد يتزلزل في كل مكان،

ولو نظروا لإخواننا في كثير من بلاد الإسلام لبكوا على كل ريال يخرجونه في العبث والخيلاء والبطر، ولكنها النفوس الضيقة، فلعل في قصة الأعمى والأقرع والأبرص حكمة وعبرة لنا، فكم في مجتمعات المسلمين من أبرص وأقرع وأعمى.